فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (8 – 12)

بقلم: رائف محمد الويشى

10 مايو 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أننا نعانى - كشعوب إسلامية - من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا – رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم – هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا مع الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الشأن ..

في الحلقة الثانية قدمنا أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

في الحلقة الثالثة واصلنا ذكر أسماء أخرى من فريق الطلقاء بالشجرة الملعونة في القرآن ، ولاحظنا تشابههم في السفاح والرذيلة ، واتفاقهم على كراهيتهم الشديدة لنبي الإسلام..

في الحلقتين الرابعة والخامسة واصلنا الحديث عن أبناء الطلقاء في الشجرة الملعونة في القرآن ، وتكلمنا عن أهم واحد في أبناء طلقاء بني أمية ، وهو الداهية معاوية الذي أسس للملك العضوض ..

في الحلقة السادسة تكلمنا عن أهم جرائم معاوية بحق المسلمين ، سواء تلك التي كانت قبل خلافته أو بعد أن تولى الحكم ..

في الحلقة السابعة واصلنا الحديث عن جرائم معاوية ثم ختمنا الحلقة بالحديث عن أحد أرذل فروع الشجرة الملعونة في القرآن وأكثرها دموية ، إنه ابنه يزيد ابن معاوية ..

في الحلقة الثامنة اليوم سنواصل الحديث عن يزيد ابن معاوية وعن جريمته التي تعتبر أفدح الجرائم في التاريخ الإسلامي ، فقد قتل جيشه 37 فردا من أبناء النبى (ص) وعلى رأسهم سبط النبى وسيد الشهداء ، ومثل بجثثهم وفصل رؤوسهم ، وما كان لهم نظائر على الأرض ، كما اغتصب جيشه آلاف النساء في حرة المدينة بعد قتل كل الصحابة البدريين بها مع عشرة آلاف مسلم ..

نحن الآن قبل سنتين من وفاة معاوية ، كان الإمام الحسن (ع) قد رحل مسموما بخطة من معاوية ، نقلت أجهزة أمنه قد نقلت له في دمشق معلومات تفيد بوجود حركة تأييد للإمام الحسين (ع) ، فأرسل معاوية رسالة له كي يشعره بأن كل تحركاته تحت المراقبة ..

يقول البلاذرى– توفى في 297 هـ - في أنساب الأشراف (ق 1 ج 1) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (8 / 162) أن معاوية أرسل رسالة إلى الإمام الحسين قال فيها ما يلي :
" أما بعد : فقد أنهيت إليّ عنك أمور إن كانت حقا فاني لم أظنها بك رغبة عنها ، وإن كانت باطلة فأنت أسعد الناس بمجانبتها ، وبحظ نفسك تبدأ ، وبعهد الله توفي فلا تحملني على قطعيتك والإساءة إليك ، فإنك متى تنكرني أنكرك ، ومتى تكدني أكدك ، فاتق الله يا حسين في شق عصا الأمة ، وإن تردهم في فتنة " **..**

يروى ابن قتيبة – توفى في 276 هـ - في الإمامة والسياسة (1/ 284) أن الإمام الحسين رد على رسالة معاوية برسالة كما يلي :
" أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير ، وأن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى .. أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني ، فإنه إنما رقاه إليك الملاقون المشّاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاوون .. ما أردت لك حربا ، ولا عليك خلافا ، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ، ومن الأعذار فيه إليك وإلى أوليائك

القاسطين حزب الظلمة.. ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ، ويستعظمون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافا بعهده .. أو لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال .. أو لست بمدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أن ابن أبيك ، وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله تعمدا وتبعت بغير هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .. أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه فكتب إليه أن اقتل كل من كان على دين علي ، فقتلهم، ومثل بهم بأمرك ، ودين علي هو دين ابن عمه الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف .. وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ودينك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ، وإن تردهم إلى فتنة ، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم لنفسي ولديني ولأمة محمد أفضل من أن أجاهرك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله ، وإن تركته فإني استغفر الله لديني ، واسأله توفيقه لإرشاد أمري .. وقلت فيما قلت: إنني إن أنكرتك تنكرني ، وإن أكدك تكدني ، فكدني ما بدا لك وفإني أرجو أن لا يضرني كيدك ، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك .. ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا ، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا .. فابشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. وليس الله بناس لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك إياهم من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل واخفت الورع التقي ، والسلام " ..

في موسم الحج التالي في عام 59 هـ توجه الإمام الحسين إلى مكة وعقد مؤتمرا عاما لجميع المسلمين فخطب فيهم ، وتحدث ببليغ بيانه بما ألم بعترة النبي وشيعتهم من المحن التي صبها عليهم معاوية ، فأجهضت السنة النبوية وآلمت عترة أهل البيت ، وفيما يلي نص حديثه فيما رواه سليم بن قيس قال :
" ولما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن علي ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فجمع الحسين بني هاشم ونساءهم ومواليهم ، ومن حج من الأنصار ممن يعرفهم الحسين وأهل بيته ، ثم أرسل رسلا ، وقال لهم: لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول الله المعروفين بالصلاح والنسك إلا اجمعوهم لي " ..

اجتمع إلي الإمام الحسين (ع) بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادق ، كان عامتهم من التابعين ، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي فقام فيهم خطيبا ، فحمد الله واثني عليه، ثم قال :
" أما بعد : فان هذا الطاغية - يعني معاوية - قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم ، وعلمتم وشهدتم ، وإني أريد أن أسألكم عن شيء فان صدقت فصدقوني ، وإن كذبت فكذبوني ، اسمعوا مقالتي ، واكتبوا قولي ، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم ، فمن أمنتم من الناس ، ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا ، فاني أتخوف أن يدرس هذا الأمر ويغلب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون" .. وما ترك شيئا مما أنزله الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره ، ولا شيئا مما قاله رسول الله في أبيه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه ، وكل ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم ، قد سمعنا وشهدنا ، ويقول التابعي : اللهم قد حدثني به من أصدقه وائتمنه من الصحابة ، فقال " أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه " ..

مات معاوية في رجب عام 60 هـ (بعد خطبة الإمام الحسين في المؤتمر العام بمكة بسبعة أشهر) وتولى يزيد الحكم بالوراثة وأصبح أميرا للمؤمنين بقوة الأمر الواقع وخالف معاوية اتفاقية الصلح التي وقعها مع الإمام الحسن (ع) ، والتي نصت على خلافة الإمام الحسن – أو الحسين في حالة موت الإمام الحسن – بعد وفاة معاوية ..

يروى البلاذرى – توفى في 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 1 ص 124) ، والطبري – توفى في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 250) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 صفحة 157) ما يلي : "
بعد أن أخذ يزيد بيعة أهل الشام ، كتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أما بعد ، فخذ حسيْنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام " ..

لكن رواية اليعقوبى – توفى في عام 284 هـ - في تاريخه (2 / 215) لا تتضمن عبد الله بن عمر ، كما أنها تحمل التهديد بالقتل في

حال رفض البيعة ، وهى ما يلي :
" إذا أتاك كتابي فاحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة ، فان امتنعا فاضرب أعناقهما ، وابعث إليّ برؤوسهما ، وخذ الناس بالبيعة ، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم ، وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام " ..

حكم يزيد بن معاوية – كثاني ملك في الدولة الأموية– لثلاث سنوات وثمانية أشهر ، ويمكن القول أنه أرتكب بكل سنة من هذه السنوات ثلاث جرائم كبرى ترك بعضها شرخا بالجسد الإسلامي حتى الآن ، وهى ما يلي :

الجريمة الأولى : قتل الحسين مع 37 من أهل البيت النبوي
يروى ابن الأعثم الكوفي – توفى في عام 314هـ - في الفتوح (ج 5 ص 150) أنه عندما وصل مسلم إلى الكوفة وتحقق من الموقف أرسل إلى الإمام الحسين رسالة وقال فيها :
" بايعك أكثر من 20 ألفا من أهل الكوفة ، عندما يصلك كتابي عجل بالمسير" ، وقيل إن عدد المبايعين وصل إلى 40 ألفا ، فانطلق الإمام الحسين بحشد كبير متوجها نحو العراق ..

أحب أهل الأرض إلى أهل السماء
يروى ابن الأثير – توفى في 630 هـ - في أسد الغابة في معرفة الصحابة (3 / 234) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في 852 هـ - في تهذيب التهذيب (2 / 300) عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه ما يلي :
"كنت في مسجد الرسول في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ، فمرَّ بنا حسين بن علي فسلم فرد القوم السلام ، فسكت عبد الله حتى فرغوا ، ثم رفع صوته وقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل ألأرض إلى أهل ألسماء؟ قالوا: بلى قال : هذا الماشي ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ولأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم ، فقال أبو سعيد : ألا تعتذر إليه قال : بلى قال : فتواعد أن يغدوا إليه قال : فغدوت معهما فاستأذن أبو سعيد فأذن له، فدخل ثم أستأذن لعبد الله فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد : يا بن رسول الله إنك لما مررت بنا أمس –فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو – فقال حسين :أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال : أي ورب الكعبة ، قال : فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين ، فوالله لأبي كان خيرا مني " ..

(ملاحظة : يقول أبو هريرة في عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان أكثر الصحابة رواية عن رسول الله من بعده ، وقد ورد في عدة مصادر أخرى أن عمرو بن العاص - أي والد عبد الله - قال لمن كان معه نفس العبارة التي قالها بالمدينة ابنه عبد الله في شخص الإمام الحسين عندما رآه يطوف بالكعبة في مكة : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء ، وقد وردت عبارة عمرو عن الإمام في سير أعلام النبلاء للذهبي (3 / 285) ، وفى البداية والنهاية لابن كثير (8 / 226) .. فالله نسال ألا يفتننا !!) ..

كانت الكوفة تحت إمرة النعمان بن البشير ، ساء الموالين ليزيد التأييد الجماهيري الذي لاقاه مسلم بن قيل من سكانها فكتبوا إلى يزيد في دمشق يتهمون البشير بن العمان بالتراخي وعدم الصلاحية في منصبه ..
قام يزيد بن معاوية – باستشارة من كاتبه وجليسه النصراني سرجون - بعزل النعمان بن البشير والى الكوفة ووضع مكانه عبيد الله بن زياد والذي كان واليا أيضا على البصرة ..

(ملاحظة : عبيد الله بن زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، كان أبوه زياد بن أبيه قد وُلد سفاحا في العام الهجري الأول من عاهرة تسمى سمية وكانت جارية للطبيب الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي في الطائف ، وقد تغاضى أبوه – أبو سفيان - عن الاعتراف إلا متخفيا ، وكان زياد كاتبا للأشعري في عهد عمر ، استماله معاوية في عام 44 هـ في مقابل الاعتراف به كابن لأبى سفيان وولاه البصرة والكوفة ، وناداه الناس بلقبه القديم " زياد بن أبيه " منكرين عليه ما أعطاه له معاوية لمخالفته صريح الحديث النبوى الخاص بابن الزنا " الولد للفراش ، وللعاهرة الحجر " أي لا يحمل ابن الزنا أبدا أسم والده ، بل اسم أمه..
أشتهر ابن أبيه بقسوته التي قاربت من السفاح ، فكانت – مثله – يقتل على الشبهة والظن ، وعُرف عنه خطبته المسماة بـ " البتراء " لأنه لم يتبسمل أو يحمد الله فيها ، وقد توعد فيها الناس بالقتل ، ولما لان العراق له نظر إلى الحجاز واليمن فأرسل لمعاوية رسالة وقال فيها " لقد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة " ، فمات بعد عام في 53 هـ ، فقال فيه عبد الله بن عمر " إليك يا ابن سميّة ، لا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركتَ! " ..
أما ابنه عبيد الله ، فقد ولد سفاحا أيضا ، وأمه جارية – مثل جدته سمية - وكانت مجوسية واسمها مرجانة ، عينه معاوية عام 54هـ والياً على خراسان ، وفي عام 56 هـ عزله وعينه والياً على البصرة ، وبعد ارتكابه جريمة قتل الحسين وآل البيت هرب من العراق بعد ثورة المختار الثقفي ، وقد تمكن منه أحد قادة الثقفي – إبراهيم الأشتر – في يوم عاشوراء من عام 67 هـ ، فأقام عليه حد الله) ..

قطع الماء عن الإمام الحسين ومن معه :
قبل ثلاثة أيام من المذبحة جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد يحمل أمرا بقطع الماء عن الإمام ومن معه بزعم رد ثأر

عثمان الذي مات عطشانا ، كان الموكب يضم النساء والأطفال مع تبقى من نفر قليل من رجال ناصروا آل البيت ..
كان الإمام عليّ (ع) هو الذي كان يمد عثمان بالماء أثناء حصاره في قصره ، ووضع ولديْه على باب قصر عثمان لحمايته وجرح الحسن من جراء ذلك ..

يروى ابن كثير - توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (8 / 572) قصة منع الماء والتي نقلها عن الطبري ، كما يلي :
" جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد بن أبى وقاص : أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، قال فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث " ..

يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء (3 / 302) ما يلي :
" وعطش الحسين ، فجاء رجل بماء فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فيه ... و توجه نحو المسناة يريد الفرات فحيل بينه وبين الماء " ..

كان شمر بن ذى الجوشن يوم معركة كربلاء يتولى قيادة الميسرة في جيش عمر بن سعد ، وهو الذي غادر كربلاء وذهب إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة ليحضه على دفع قائد الجيش عمر بن سعد كي يحسم الأمر عسكريا مع الحسين وجماعته ، وعاد إلى كربلاء يحمل كتابا من ابن زياد إلى ابن سعد يخيّره فيه بين حسم الأمر أو ترك قيادة الجيش إلى شمر بن ذي الجوشن ..

(ملاحظة : كان شمر بن ذى الجوشن رجلا شجاعا شارك في معركة صفين إلى جانب الإمام عليّ ثم سكن الكوفة وخرج على الإمام عليّ وواصل ذلك مع أولاده ، وقد قتل على يد المختار الثقفي في يوم عاشوراء عام 66 هـ) ..

كان عمر بن سعد بن أبى وقاص كارها لقتال الإمام الحسين ، ولكن إمارة الري في خراسان التي وعده بها عبيد الله ابن زياد في حالة إخضاعه للإمام الحسين قد أعمته عن رؤية الحق والصواب ..

(ملاحظة : جاء في معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى في عام 622 هـ عن تلك المدينة ما يلي : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات ، وهى محط الحاج وهى بين نيسابور ودارين ، وقال الرحالة ورائد الجغرافيين العرب الاصطخرى المتوفى في عام 346 هـ عن تلك المدينة ما يلي : هي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها ..) ..

يروى الطبري - توفى في عام 310 هـ في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 326) كان اشتباك الطرفين في العاشر من محرم من عام 61 بعد أن تقدم عمر بن سعد بن أبى وقاص نحو معسكر الإمام الحسين ورمى بسهم وقال : اشهدوا لي عند الأمير إني أول من رمى ، ثم لحقه في ذلك رجاله ، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصيب من سهامهم ، فقال الإمام الحسين لأصحابه : قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه ، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم ..
استمر القتال وأصحاب الإمام الحسين يتساقطون ويستشهدون الواحد تلو الآخر ، حتى تم محاصرتهم وحرق الخيام التي يحتمي بها نساء آل البيت .. فحمل جيش ابن زياد حملة واحدة على الإمام وأصحابه ، فاستشهدوا واحدا تلو الآخر حتى سقطوا جميعا شهداء ، بمن فيهم طفل الإمام الحسين الرضيع (عبد الله بن الحسين) والذي كان قد حمله ليستعطف قلوب القوم وطلب منهم أن يسقوه شربة ماء ، ولكنهم بدلا من ذلك صوبوا إلى عنقه سهما ، ثم واصل القتلة وحشيتهم بتقطيع رؤوس الشهداء ..

يقول ابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 182) أن قادة جيش يزيد صاحوا في جنودهم قائلين : قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة ! ..

يروى ابن عساكر – توفى في عام 571 هـ - في ترجمة الإمام الحسين (ص 321/ 322) اللحظات الأخيرة في حياة الإمام الحسين فيقول أنه عرض عليهم أن يقبلوا منه ما كان يقبله الرسول من المشركين ، فسألوه : وما كان يقبل منهم ، فقال " إذا جنحوا قبل منهم ، فدعوني أرجع " ، فقالوا : لا ..

التمثيل بجثث آل البيت وتوزيع رؤوسهم كغنائم بين الموالين ليزيد
قام شمر بن ذي جوشن بفصل رأس الحسين عن جسده باثنتي عشرة ضربة بالسيف وله من العمر 57 سنة ، وقد أحصيت في جسده الشريف 33 طعنة رمح و34 ضربة سيف وجراح أخرى من أثر النبال ..

كما قام الموالون ليزيد بن معاوية بتوزيع رؤوس القتلى بينهم كغنائم للتقرب بها إلى الوالي عبيد الله بن زياد : قبيلة هوازن حملت 20 رأسا وكان قائدهم شمر بن ذى الجوشن ، قبيلة كندة حملت 13 رأسا وكان قائدهم هو قيس بن الأشعث ، قبيلة تميم حملت 17 رأسا ، قبيلة بني أسد حملت 6 رؤوس ، قبيلة مذحج حملت 7 رؤوس ، وحمل الجيش الأموي 7 رؤوس ، وقد حملت رؤوس الشهداء على رماح المعتدين .. لكن ثلاثة من الشهداء لم يكتف المهاجمون بقطع رؤوسهم فقط بل قاموا بقطع أجسادهم أيضا وهم : علي الأكبر بن الحسين ، العباس بن على بن أبى طالب ، عبد الرحمن بن عمير ..

كان عدد الشهداء في كربلاء 168 شهيدا (37 من آل البيت + 118 من أنصار الإمام الحسين + 13 من الموالى) ، وقد فصل جيش يزيد رؤوس 78 من هؤلاء (ومنهم شهداء آل البيت) .. كانت نتيجة المعركة ومقتل الإمام الحسين على هذا النحو مأساة مروعة أدمت قلوب المسلمين وهزت بقوة عاتية – وما زالت - مشاعرهم وعواطفهم نحو المظالم العديدة التي تعرض لها آل البيت النبوي ..

نساء آل البيت النبوي ، سبايا كاشفات الرأس لدى جيش يزيد !
لما أحاط جيش الأمويين بخيام نساء أهل البيت ، أضربوا في بعضها النار ، فأخذت نساء آل البيت النبوي تعدوا من خيمة محترقة إلى أخرى ، أقدم جيش يزيد بن معاوية على اقتحام الخيام التي تجمع بها نساء آل البيت فصاحت فيهم السيدة زينب : " ألم يبق فيكم ذو مروءة ! إن لم يكن فيكم ذو دين ، أما أن دخولكم على النساء في الخيام أمر تشلأه العرب قبل الإسلام .." ، إلا أنهم دخلوا فوجدوا الإمام علىّ بن الحسين (زين العابدين) مريضا طريح الفراش ، قيّده الجيش الأموي بسلاسل اسمها الجامعة لها حديد يحيط بالعنق والساعدين والمعصمين والقدمين والرجلين ورفعوه إلى الجمل ، كما أخذوا رأس الإمام الحسين على رمح وعلّقوها ورؤوس من معه من آل البيت والأمصار ، وأمروا الخيول أن تمر على الجسد الشريف وهو يلبس جبة جدّه (ص) ..

سيق نساء آل البيت سيرا في اليوم التالي (11 محرم 61 هـ) إلى الكوفة ، بينما الشاب المريض ، الإمام علىّ بن الحسين ، محمولا في قيوده على جمل ورؤوس أبيه وإخوانه وأبناء عشيرته وأنصارهم أمام الركب ..

في الطريق إلى الكوفة كانت نساء أهل البيت النبوي يسرن على أقدامهن حول الموكب وهن باكيات وكاشفات للرأس وشاكيات إلى الله حتى وصلن إلى الكوفة .. كانت السيدة زينب – شقيقة الإمام الحسين بن علىّ – تتولى رعاية موكب السبايا ، وكانت تتسم برباطة الجأش ، ولم لا وقد شاهدت مقتل أولادها محمد وعون وعبيد الله ، وكذلك مقتل شقيقها وأبنائه وكل آل البيت النبوي ..

عُرض الموكب على الوالي عبيد الله ابن زياد ، فلما رأى السيدة زينب قال : " الحمد لله الذي نصرنا عليكم وأيّدنا " ، فقالت : " الحمد لله الذي أتم النعمة علينا بشهادة رجالنا " ..

يروى الطبري – توفى في 310 هـ- في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 صفحة 353) أن يزيد قال للسيدة زينب استحقاقه في قتل الإمام الحسين وصحبه لأنهم – كما زعم !1 – من الخوارج الذين خرجوا عن الدين ، فقد قال لها : " إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، فقالت السيدة زينب " بدين الله ودين أبى ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك ؟! " ..

كان على بن الحسين (زين العابدين) ممن شهد فاجعة كربلاء من خيمته لأنه لم يخرج لمرضه وكان عمره 23 عاما وكادوا أن يقتلوه لولا عمته زينب (ع) التي قالت لهم " إقتلونى أولا " ، وفى ذلك يقول الإمام جعفر الصادق ما يلي : " إن زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه ، فيضعه بين يديه فيقول : كل يا مولاي ، فيقول : " قتل ابن رسول الله جائعاً ، قتل ابن رسول الله عطشاناً ، فلا يزال يكرِّر ذلك ويبكي حتى يبلَّ طعامه من دموعه ، ثمَّ يمزج شرابه بدموعه ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل " ..

قال الإمام جعفر الصادق (ع) في أهل البيت (ع) ما يلي :
" البكاؤن خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمد ، وعلي بن الحسين ، فأما آدم : فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية ، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره ، وحتى قيل له : " تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) ، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا : إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل ، وإما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار ، فصالحهم على واحد منهما ، وأما فاطمة بنت محمد فبكت على رسول الله حتى تأذى بها أهل المدينة ، وقالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف ، وأما علي بن الحسين : فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى ، حتى قال له مولى له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف

عليك أن تكون من الهالكين قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة " ..

كان الإمام على بن الحسين (ع) كلما مر بالسوق ورأى رجلا يهم بذبح شاة ، أسرع إليه وسأله " هل سقيتها قبل الذبح ؟ " ، كان صراخ أبيه الإمام الحسين بن عليّ حاضرا أمامه في كل مكان يذهب إليه وهو يستغيث القوم الذين وهم قادمون لقتله بعد أن قطعوا المياه عن آل البيت لثلاثة أيام ، " وحق جدي إني لعطشان " ، قالها الإمام الحسين وهو يحمل رضيعه في يديه ليجعلهم يفكرون على ما هم مقدمون عليه ، فما أوقفهم حرمة ذكره لجده ولا بكاء الرضيع عن جريمتهم التي قسمت ظهر المسلمين إلى يوم الدين ..

حاول كل رفقاء على بن الحسين (ع) التخفيف من بكائه طوال حياته فلم ينجحوا ، فذهبوا إلى أقرب أصدقائه وهو عبد الله الثمالى ، عُرف الثمالى برواياته عن أئمة أهل البيت لمصاحبته لهم ..
قال الثمالى على الإمام السجاد فقال له : سيدي ما هذا البكاء ؟ ألم يقتل عمك الحمزة ؟ ألم يقتل جدك علي بالسيف ؟ إن القتل لكم عادة ، وكرامتكم من الله الشهادة ، فقال له الإمام السجاد : شكر الله سعيك يا أبا حمزة كما ذكرت ، القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة ، ولكن يا أبا حمزة ؟ هل سمعت أذناك أم رأت عيناك أن امرأة منا سبيت وهتكت قبل يوم عاشوراء ، والله يا أبا حمزة ، ما نظرت إلى عماتي وأخواتي ، إلا ذكرت فرارهن في البيداء من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء إلى خباء ، والمنادي ينادي احرقوا بيوت الظالمين ..

قال أحمد – توفى في 241 هـ - في مسنده (ج 1 ص 242) ، والطبراني – توفى في 360 هـ - في المعجم الكبير (ج 3 ص 110) ، وابن عساكر – توفى في 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 14 ص 237) ، وابن الأثير – توفى في 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 1 ص 582) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 218) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :
" رأيت النبي الليلة التي قتل فيها الحسين ، وبيده قارورة يجمع فيها دماً فقلت : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى .. ولم أزل أتتبعه منذ اليوم ! فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم " ..

يروى ابن عساكر في ترجمة الحسين (ص 261) عن أم المؤمنين عائشة – أم سلمة في مصادر أخرى - ما يلي :
" عن عائشة قالت : دخل الحسين بن عليّ على رسول الله وهو يوحى إليه فنزا رسول الله - وهو منكب - ولعب على ظهره ، فقال جبريل لرسول الله : أتحبه يا محمد ؟ قال : يا جبريل ومالي لا أحب ابني ؟ قال : فإن أمتك ستقتله من بعدك ، فمد جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء (وقيل حمراء في رواية أخرى) فقال في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد ، واسمها الطف ، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ، خرج رسول الله والتربة في يده يبكي فقال : يا عائشة إن جبريل عليه السلام أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف ، وأن أمتي ستفتن بعدي ، ثم خرج إلى أصحابه فيهم عليّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي ، قالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه " .. وفى مصادر أخرى ورد أن النبي قال : يا جبريل أفلا أراجع فيه ؟ قال : لا لأنه أمر قد كتبه الله " ..

(ملاحظة : ذُكرت الرواية باختلاف بسيط في عدة مصادر مختلفة أخرى من كتب أهل السنة ، منها البداية والنهاية لابن كثير (ج 6 ص 203) ، وتاريخ الإسلام للذهبي بإسناد صحيح (ج 3 ص 11) وسير أعلام النبلاء له (ج 3 ص 290) ، ومسند الإمام أحمد (ج 6 ص 294) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (ج 8 تحت رقم 78) ، والمستدرك للحاكم (ج 3 ص 179) ، والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني (ج1 ص 9) ، والمعجم الكبير للطبراني (ج 24 ص 54 ، ص 57) وكذلك في (ج 2 ص 125 / 126) من الخصائص للسيوطي) ..

قال ابن أبى شيبة – توفى في عام 235 هـ - في مصنفه (ج 8 ص 632) عن صالح بن أربد النخعى أنه قال ما يلي :
" قالت أم سلمة : دخل الحسين على النبي صلى الله عليه وآله وأنا جالسة على الباب ، فتطلعت فرأيت في كف النبي صلى الله عليه وآله شيئا يقلبه وهو نائم على بطنه ، فقلت : يا رسول الله ! تطلعت فرأيتك تقلب شيئا في كفك والصبي نائم على بطنك ودموعك تسيل فقال : " إن جبريل أتاني بالتربة التي يقتل عليها ، وأخبرني أن أمتي يقتلونه " ..

قال أحمد – توفى في 241 هـ - في مسنده (ج 2 ص 119) ، و أبو يعلى الموصلي – توفى في 307 هـ - في مسنده (ج 1 ص 298) ، وابن أبى شيبة في مصنفه (ج 8 ص 132) ، والذهبي – توفى في 748 هـ - في تاريخ الإسلام (ج 3 ص 9) ، وابن كثير في البداية والنهاية (ج 5 ص 217) ، والألباني – توفى في 1999 م - في السلسلة الصحية (رقم 1171) ما يلي :
" عن عبد الله بن نجي ، عن أبيه أنه سار مع علي - وكان صاحب مطهرته - فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادي علي : " اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات " ، قلت : وماذا ؟ قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان

قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : " بل قام من عندي جبرئيل قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات " ، قال : فقال : " هل لك إلى أن أشمك من تربته ؟ " ، قال : " قلت : نعم ، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا "..

ذكر الترمذي – توفى في 279 هـ - في سننه (ج 3 ص 193) ، والحاكم – توفى في 405 هـ - في المستدرك (ج 4 ص19) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 217) عن سلمى أنها قالت ما يلي :
" دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، وعلى رأسه ولحيته التراب ! فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفا ! " ..

قال ابن كثير في البداية والنهاية (ج 8 ص 218) عن شهر ابن حوشب أنه قال ما يلي :
" إنا لعند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة ، فقالت قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم عليهم نارا ، ووقعت مغشيا ، وقمنا " ..

قال الطبراني – توفى في عام 360 هـ - في المعجم الكبير (ج 2 ص 210) عن عمار ابن أبى عمار أنه قال ما يلي :
" عن أم سلمة رضي الله عنهما أنها قالت : سمعت الجن تنوح على الحسين عليه السلام " ..

الجريمة الثانية ليزيد : القتل الجماعي للمسلمين بالمدينة ، واغتصاب نسائهم (واقعة الحرة)
شعر أهل المدينة – ومعهم أهل مكة – بالذنب بعد مقتل الإمام الحسين وآل البيت لأنهم خذلوه ولم يستمعوا لكلامه بضرورة الوقوف في وجه يزيد ، لكن الأنباء التي كانت تصلهم من دمشق عن سلوكيات شاذة وفجر وفسق يمارسه يزيد بن معاوية – شرب خمر وزنى بالمحارم – كان الحافز الرئيسي لخروج أهل المدينة عليه ..

أورد ابن الأثير – توفى 630 هـ - بالكامل في التاريخ (ج 4 / 48) أن الإمام الحسين بن علىّ قال قبل خروجه للكوفة لملاقاة مؤيديه " أيها المسلمون ، من رأى منكم سلطانا جائرا يستحل حرمات الله ، فلم ينكر عليه كان حقاً على الله يدخله مدخله " ..

كانت الفترة الفاصلة بين مقتل الإمام الحسين (ع) مع آل البيت (10 محرم 61 هـ) وبين خروج أهل المدينة على يزيد بن معاوية (ذي الحجة 63 هـ) هي تلك المدة الزمنية التي قضاها أهل المدينة ومكة في جمع المعلومات عن يزيد الذي بايعوه مضطرين بسبب بطشه وبطش أبيه من قبل ..

قال الطبري – توفى في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (5/ 480) ، والمسعودي – توفى في 346 هـ - في مروج الذهب (3 / 78) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 / 217) ، والسيوطي – توفى في 911 هـ - في تاريخه (ص 309) أن كبراء المدينة وأشرافها اتفقوا على تكوين وفد منهم ليذهب إلى دمشق – مقر الخلافة حيث يعيش يزيد – ليتأكد بنفسه من فسق يزيد وخروجه على المبادئ الإسلامية ..

استقبل يزيد الوفد واحتفى بهم ومنحهم الهدايا والمال ، كان فيهم زعيم الأنصار في المدينة عبد الله بن حنظلة وأبناؤه الثمانية ، فأعطاه يزيد مئة ألف درهم وأعطى لكل واحد من أبنائه عشرة آلاف درهم سوى كسوتهم و حملانهم ..

عاد الوفد إلى المدينة وقرروا خلع يزيد ، قالوا إنَّه وإن كان قد احتفى بنا إلَّا أنَّ ذلك لا يمنعنا عن أن نقول الحقّ ، إنَّه رجلٌ فاسق يشرب الخمر وتضرب عنده الجواري بالدف، ويَستحلَّ المحارم ، وكان ربَّما ترك الصَّلاة لسكره ، ونحن كنا معه في مجلسه ، وكنا نخشى أن تسقط السماء علينا كِسَفاً لفجوره وفسقه وعبثه ومُجونه ..

وصلت أنباء تمرد أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية بدمشق فقام على الفور بتجهيز جيش من الموالين له يبلغ 12 ألف مقاتل محترف ووضع على قيادته مسلم بن عقبة ، كان عمْر مسلم بن عقبه قد تجاوز التسعين ويعنى ذلك أنه أدرك زمن الرسول الكريم (ص) ..

ذكر ابن سعد – توفى في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 5 ص 47) أن عبد الله ابن حنظلة قال لأهل المدينة بعد أن بايعهم على الموت عند اقتراب جيش يزيد للمدينة ما يلي :

" يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فو الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ، إنه رجل ينكح الأمهات والأخوات ، ويشرب الخمر وتارك للصلاة " ..

قال ابن كثير– توفى في 774هـ - في البداية والنهاية (ج 8 / 239) ، وابن الأثير – توفى في 630 هـ في الكامل في التاريخ (ج 4 / 112) أن يزيد بن معاوية قد قال لقائد جيشه مسلم عندما استعرض معه القوات في دمشق وهو يحمل سيفه ما يلي : " إذا قتلتهم فأبح المدينة ثلاثاً للجند ، وإيَّاك أن تمنع الجند من عدوِّهم ، فليفعلوا ما شاءوا في المدينة " ..

دخل جيش مسلم بن عقبة المدينة في 28 ذي الحجة من عام 63 هـ (27 أغسطس 683 م) ، طلب بن عقبة من أهل المدينة بمجرد دخوله أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد فإن شاء تركهم وإن شاء قتلهم ..
كان المدينة ممتلئة بالصحابة والعلماء والأشراف ، لكنهم رغم ذلك أعطوا بن عقبة البيعة ليزيد لمعاملة كعبيد ليحكم في دمائهم وإعراضهم وأموالهم ، ارتكب مجازر موسعة بأهل المدينة وأمر جنوده باغتصاب نسائها وبناتها ..

قال الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 / 379) أن مسلم بن عقبة عندما دخل المدينة صعد منبر رسول الله (ص) وطلب من أهل المدينة المبايعة ليزيد ، فسأله الناس ، على أيِّ شيء نبايعك ؟ ، قال : تبايعوني على أنكم خِولٌ ليزيد - أي عبيدٌ له ! – فدخل يزيد بن عبد الله بن الأسود (حفيد أم المؤمنين أم سلمة) وقال له : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، قال : تبايعني على أنَّك فيء ليزيد ، قال : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، قال : قدِّموه واضربوا عنقه ، ثم دخل رجل آخر ، قال له : تبايعني على أنّك قنّ ليزيد ، قال : أبايعك على سُنَّة عمر ، قال : قدِّموه واضربوا عنقه ! ، دخل عقب ذلك جميع الرجال إلى مسلم بن عقيل وبايعوه ليكونوا عبيدا ليزيد بن معاوية ..

أصبحت المدينة بموجب تلك البيعة ملكا لجيش يزيد ابن معاوية ، فاستباحها جنده لثلاثة أيام فنهبوا الأموال وسبوا الذرية فأضحوا يقتلون ويستبيحون الفروج ، فوقعوا على نساء الصحابة والتابعين حتى قيل حملت في تلك الأيام ألف امرأة زوج وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد بـ " أولاد الحرة " ..
كان مسلم بن عقبة يدفع 40 دينار عن كل رجل يقوم جنوده بقتله .. بلغ عدد القتلى من وجوه الناس سبعمائة من قريش والأنصار بل قيل أنه قتل من الأنصار 1400 وقيل 1700 ، ومن قريش 1300 ، وقتل من الموالى والعبيد 10 آلاف ..
كان من القتلى زعيم المهاجرين عبد الله بن مطيع وسبعة من أولاده وزعيم الأنصار عبد الله بن حنظلة ، وكان منهم أيضا 70 صحابيا من حملة القرآن حتى لم يبق بعد واقعة الحرة بدريّ واحد ، ومعلوم مكانتهم في قلوب المسلمين ..

يقول الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في هامش سير أعلام النبلاء (ج 4 ص 228) عن ابن حزم في كتابه سير جوامع السيرة (ص 357) قولهما يلي :
" أغزى يزيد الجيوش إلى المدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى مكة حرم الله تعالى ، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار يوم الحرة، وهي أيضا أكبر مصائب الإسلام وخرومه، لأن أفاضل المسلمين وبقية الصحابة، وخيار المسلمين من جلة التابعين قتلوا جهرا ظلما في الحرب وصبرا، وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر!! ولم تصل جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا كان فيه أحد ، حاشا سعيد بن المسيب فإنه لم يفارق المسجد ، ولولا شهادة عمرو بن عثمان بن عفان، ومروان بن الحكم عند مجرم بن عقبة المري بأنه مجنون لقتله! وأكره الناس على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد له ، إن شاء باع ، وإن شاء أعتق !وذكر له بعضهم البيعة على حكم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله ، فضرب عنقه صبرا! وهتك مسرف أو مجرم الإسلام هتكا ، وأنهب المدينة ثلاثا، واستخف بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدت الأيدي إليهم وانتهبت دورهم! " ..

يقول أبو الفداء إسماعيل – توفى في عام 732 هـ - في المختصر في تاريخ البشر (توفى في 774 هـ) والمعروف باسم " تاريخ أبى الفدا " ما يلي : " ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرَّة وعليهم مُسرف – يسمى مسلم بن عقبة بهذا الاسم لكثرة إسرافه في الدماء - خرج إلى حربه أهلُها عليهم عبد الله بن مطيع العدويَ وعبد اللهّ بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس ، فممن قتل من آل أبي طالب اثنان : عبد اللهّ بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب ، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب : الفَضْلُ بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، والعباس بن عُتْبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ، ومثلهم من الأنصار ، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف .. وبايع

الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد ، ومَنْ أبى ذلك أمره مُسْرف على السيف " ..

يروى ابن عساكر – توفى في 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 20 / 395) أن جنود يزيد كانوا يدخلون على بيوت المسلمين بالمدينة ويأخذون كل ما فيها ، فما يحتاجونه يسلبونه وما لا يحتاجونه يُخرِّبونه ، حتى أنَّهم يعمدون إلى الفراش فينفشوا صوفه وقطنه ! ويأتي أحدهم إلى زوج الحمام إن احتاجه أخذه وإن لم يكن بحاجةٍ إليه قتله ..

قال البخارى – توفى في عام 256 هـ - في صحيحه (ج 3 ص 181) ، ومسلم – توفى في عام 261 هـ - في صحيحه (ج 4 ص 113) عن سعد ابن أبى وقاص عن النبى (ص) أنها قال ما يلي :
" لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء " ..

قال النسائى– توفى في عام 303 هـ - في سننه (ج 2 ص 483) ، وأحمد – توفى في عام 241 هـ - في مسنده (رقم الحديث 16214) عن سائب ابن خلاد عن النبى (ص) يتوعد من يخيف أهل المدينة ، فيقول ما يلي :
" من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل " ..

(**ملاحظتان : الملاحظة الأولى :** إذا كانت لعنة الله والملائكة والناس أجمعين هي جزاء من أخاف أهل المدينة ، فما بالنا بجزاء من قتل عشرة آلاف من أهلها واغتصب نساءها ..
الملاحظة الثانية : قال بعض العلماء أن تلك الأحاديث التي يتوعد فيها النبى (ص) من يخيف أهل المدينة هي من أجبرت الإمام الحسين (ع)على مغادرة المدينة والنزول إلى مكة حتى لا يكون سببا في إخافة أهل المدينة) ..

مروان بن الحكم ينكث وعده ويقاتل في جيش بن عقبه أهل المدينة :
ذكرنا أن مروان بن الحكم وبنيه أعطوا الثوار في المدينة عهودا بألا يساعدوا جيش المعتدين على المدينة ، وقد تركهم الثوار يعودون إلى الشام أو يلجئون إلى الحياد ، لكن ما إن وصلت قوات بن عقبة حتى انضم أليها مروان ..

يقول ابن سعد – توفى في 230 هـ - في الطبقات الكبرى (5 / 38) ما يلي : "
فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا عثمان بن محمد وبني أمية من المدينة فأجلوْهم عنها إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم ، وأخذوا عليهم الإيمان ألا يرجعوا إليهم وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجه إليهم مع مسلم بن عقبة المري أن يفعلوا ، فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرضه عليهم ، فقال لهم مسلم : ما ترون ؟ تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي ؟ فقالوا : بل نمضي إلى أمير المؤمنين ، وقال مروان : أما أنا فأرجع معك فرجع معه مؤازراً له معيناً له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وقُتلوا وانتهبت المدينة ثلاثاً ، وكتب مسلم بن عقبة بذلك إلى يزيد ، وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إياه ومناصحته وقيامه معه ، وقدم مروان على يزيد بن معاوية الشام فشكر ذلك له يزيد وقربه وأدناه " ..

يصف ابن سعد في نفس المصدر السابق (5 / 66) ثورة الصحابة بالمدينة على يزيد ونكوث مروان بعهده معهم فيقول التالي :
" فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي ، وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدهر، وما رئي رافعاً رأسه إلى السماء إخباتاً ، فلما دنا أهل الشام من وادي القرى صلى عبد الله بن حنظلة بالناس الظهر، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما خرجتم غضباً لدينكم فأبلوا لله بلاء حسناً ، ليوجب لكم به مغفرته ويحل به عليكم رضوانه ، قد خبرني من نزل مع القوم السويداء، وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مروان بن الحكم، والله إن شاء الله محينه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله، فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويقولون الوزغ بن الوزغ، وجعل بن حنظلة يهدئهم ويقول إن الشتم ليس بشيء، ولكن أصدقوهم اللقاء"..

ثم يذكر ابن سعد في نفس المصدر السابق (5 / 70 – 171) أحوال مسلم بن عقبة ومروان بن الحكم بعد قتلهما لأهل المدينة فيقول التالي : " فجعل
مسرف يطوف على فرس له في القتلى ومعه مروان بن الحكم ، فمر على عبد الله بن حنظلة وهو مادٌّ إصبعه السبابة فقال مروان : أما والله لئن نصبتها ميتاً لطالما نصبتها حياً...). ! ... فقال مسرف : والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنة ، لا يسمع هذا منك أهل الشام فتكركرهم عن الطاعة ! قال مروان : إنهم بدّلوا وغيروا " ..

قال الذهبي – توفى في 748 هـ - في سير أعلام النبلاء (ج 3 / 324)، وفى تاريخ الإسلام للذهبي (ج 5 / 24)، وابن حجر العسقلاني – توفى في 852 هـ - في الإصابة في تمييز الصحابة (ج 6/ 144) ، وابن كثير– توفى في 774 هـ- في البداية والنهاية (ج 8 / 239) أن يزيد بن معاوية كان رجلا فاسقا لعوبا ، يشرب الخمر ، ويلعب مع القرود (!!) ، وينكح أمهات الأولاد ، وتُضرب عنده الدفوف ، وترقص عنده القيان ، ولا يكاد يفيق من سكره ، ويتغزَّل في الغانيات قائلا وهو سكير ما يلي :
اسقني شربة تروِّي عظامي ثم مل فاسقٍ مثلها ابن زياد

وكما فعل عبيد الله بن زياد بشهداء كربلاء عندما مثّل بالجثث وقطع رؤوس آل البيت وأرسلها إلى يزيد ابن معاوية بالشام ، فعل أيضا مسلم ابن عقبة في أهل المدينة بعد استباحتها ، فقطع رؤوس كبار القوم وأرسلها تقربا إلى يزيد بن معاوية في الشام ..

(ملاحظة : لقب مسلم بن عقبة بمسرف بن عقبه لإسرافه في القتل ، وكان من أنصار معاوية ، وحارب معه في صفين وفقد بها إحدى عينيه ، وبعد أن فرغ من جريمته في المدينة توجه إلى مكة لتدميرها لوجود مقاومة بها بقيادة عبد الله بن الزبير ، وقد مات في الطريق عن عمر يناهز التسعين ودفن في مكان يسمى المشلل ، وقد تعرض قبره للنبش من قبل العباسيين وأخرجت جثته وصلبت في مرحلة تالية) ..

قال الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في تاريخ الإسلام (ص) في شأن جريمة يزيد في الحرة ما يلي :
" ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل ، مع شربه الخمر وإتباعه المحرمات اشتد عليه الناس وخرجه عليه غير واحد " ..

الجريمة الثالثة ليزيد : التخطيط للقتل الجماعي للمسلمين في مكة وهدم الكعبة
بعد أن استشهاد الإمام الحسين ابن عليّ وآل البيت ورفاقه في كربلاء في 10 محرم عام 61 هـ والتمثيل بجثثهم ثار عبد الله بن الزبير في مكة على حكم يزيد ابن معاوية وكون جبهة عسكرية للمعارضة ، وشجعه في ذلك كبار الصحابة وأشراف مكة وعامة الناس هناك .. إذن يمكن القول أن ثورة عبد الله بن الزبير– ابن أسماء بنت أبى بكر - بمكة سبقت ثورة أهل المدينة ، لكن الأوضاع الجغرافية فرضت على يزيد بن معاوية أن يبدأ بالمدينة قبل مكة ..

قال الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 / 383) ، وابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - الكامل في التاريخ (ج 4 / 124) ، وابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 / 247) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في عام 852 هـ في تهذيب التهذيب (ج 2 / 338) أن يزيد بن معاوية قال لمسلم بن عقبة قبل خروجه من الشام لمحاربة أهل المدينة ما يلي : " إذا انتهيت من المدينة فاذهب إلى مكة ، واقتل عبد الله بن الزبير ومن معه " ..

أورد المسعودي – توفى في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 صفحة 69- 72) ما يلي :
" وفي عام 64 هـ أرسل نفس ذلك الجيش لقمع ثورة عبد الله بن الزبير بمكة ، فهجم عليها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرق البيت الحرام وهدمه وقتل خلقاً كثيراً من أهلها " ..

في منتصف ربيع الأول من عام 64 هـ يغادر الملك الثاني من ملوك بني أمية ، يزيد بن معاوية ، الدنيا وهو في عمر 38 عاما بعد أن حكم لمدة أربع سنوات ، كان ذلك بعد شهرين ونصف تقريبا من واقعة الحرة بالمدينة ، وبموته انتهت فترة من أحلك وأسوأ الفترات في التاريخ الإسلامي وأكثرها دموية .. وقد قيل في أسباب وفاته أنه كان مع قرد يحاول " ملاعبته " فهجم عليه القرد وعضه فكانت وفاته ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

.رائف محمد الويشى
سانت لويس – ميزورى - أمريكا
elwisheer@yahoo.com
تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :
www.thowarmisr.com